فن خيال الظل في تركيا العثمانية خلال القرن ١٣هـ / ١٩م
في ضوء بعض النماذج الفنية المحفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن

رمضان شعبان علي موسى
مفتش بوزارة آثار

ملخص البحث :

يتناول هذا البحث فن خيال الظل في تركيا العثمانية خلال القرن ١٣هـ / ١٩م " في ضوء بعض النماذج الفنية المحفوظة بمتحف فكتوريا والبرت في لندن " و يعد فن خيال الظل من أهم وسائل الترفيه ، ويسمى بشخوص الخيال ، أو ظل الخيال ، أو طيف الخيال ، أو مسرح الدمى ، أو خيال الستار ، أو ذي الخيال ، ولعل هذه المسميات تشير إلى تلك الوسائل التي كان يتوسل بها المخايل ونفي ممارسة ذلك الفن حيث تطلب مسرحا ، كما يرجع بعضها إلى ذلك التشابه بين هذا الفن وما كان يقدم على مسارح الدمى التي كانت شائعة في أوربا ، وكذلك بعض الدمى التي كان يقوم اللاعبون بادراجها خلف الستارة البيضاء ، خيال الظل فن قديم ارتبط بالشرق من حيث المكان ، وارتبط بالوعظ والتعليم من حيث الوظيفة ، بصرف النظر عن أدوات التخيل التي يقدم بها المخايل مشاهده المصورة ، سواء كانت الدمى من قصاصات الكرتون أو الجلد .

وبدأ البحث بمقدمة ثم : القسم الأول وهو الدراسة الوصفية ثم القسم الثاني : وهو الدراسة التحليلية ثم الخاتمة ونتائج البحث .

الكلمات الدالة :

- خيال الظل
- المخايلة
- طيف الخيال
- القره جوز
- دمية
- البابة

مقدمة :-

ثمة نوع أخر من الفنون يرتبط ارتباطا كبيرا بفن التشكيل والنحت هو فن الدمى والعرائس ، ومن الجلي أن الفقهاء قد تسامحوا فيه ، وتغاضوا عن إقبال الناس على ما تسميه (بخيال الظل) حيث تظهر أشباح العرائس وتحركاتها من وراء ستار ، وفي تعارض هذه العرائس بين الحقيقة والخيال صارت هذه الأنواع من التمثيليات موضعا للترفيه ، ويمكن القول أن هذا الفن نشأ في اليونان القديمة ثم انتقل عن طريق بيزنطة إلى البلاد العربية ، ولكن الراجح أن العرب عرفوا هذا الفن عن طريق شرق أسيا وجنوبها الشرقي ، وإن لم يثبت ذلك بالدليل القاطع ، وقد يكون المغول هم الذين نقلوه إلى بلاد العرب في القرن السابع أو الثامن الهجري / الثالث عشر أو الرابع عشر الميلادي ، ومن الثابت أن مصر عرفت هذا النوع من الفن في القرن السابع الهجري

/ الثالث عشر الميلادي وشاع فيها ، وإن كان من الراجح أنها عرفته قبل ذلك ، وكما تأثر فن خيال الظل المصري بنظيره فن القره جوز التركي ، كذلك تأثر التركي بنظيره المصري ، ولعل سوريا ثاني البلاد بعد مصر التي وجد فيها فن خيال الظل [١] .

وسوف تنحصر دراستنا في هذا البحث على دراسة فن خيال الظل في تركيا خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي في ضوء بعض النماذج المحفوظة في متحف فكتوريا والبرت بلندن والتي تم نشرها في بعض المراجع التركية ، وتم اختيار هذه الفترة الزمنية لأنها غنية بالنماذج الفنية التي توضح فكرة البحث ، علاوة على أن هذا الفن قد وصل إلى أوج عظمته في تلك الفترة ، وكتب عن هذا الموضوع بعض الباحثين الأجانب ، لذلك رأيت أن أقوم بإعداد هذا البحث لإثراء المكتبة العربية بهذا الموضوع الهام ، وخاصة أن بعض الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع لم يتناوله من الناحية الأثرية والفنية بل تناولوه كأحد فنون المسرح بوصف أحد فنون الفرجة الشعبية .

وتنتهج الدراسة المنهج التالي :-

- **دراسة وصفية :-** تتناول النماذج الفنية للدمى المستخدمة في عروض خيال الظل في تركيا خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، ودراسة الشخصيات التي لعبت دورا كبيرا في عروض هذا الفن مثل القره جوز وهيسفات وغيرهم .

- **دراسة تحليلية :-** تتناول تعريف فن خيال الظل ومسمياته ونشأته والأساطير المتعلقة بهذا الفن وصفة اللعبة ، وخيال الظل التركي (القره جوز) وأهداف هذا الفن .

<u>أولا : الدراسة الوصفية :-</u>

- دمية [٢] خيال الظل (القره جوز التركي) ، لوحة رقم (١) :-

المادة الخام :- رسم على الجلود و المخطوطات .

المكان :- تنسب إلى تركيا .

الفترة التاريخية :- القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت بلندن .

رقم السجل:-٢٠١١-S.٩٨٥ .

الوصف الفني :- دمية خيال الظل التركي (القره جوز) وهو يرتدي سترة باللون الأحمر واللون الذهبي ، وسروال واسع يصل إلى ركبتيه ويرتدي حذاء طويل باللون الأسود وغطاء رأس عبارة عن قبعة[٣] باللون الأحمر والذهبي ، باسطا يده اليمنى للأمام ، والأخرى يمسك بها عصا .

الكراكوز أو القره جوز هو الشخصية الرئيسية واسمه يعني العين السوداء ، له دمية ذات أنف طويلة ، ولحية مجعدة سميكة ، وذراعه طويلة وثقيلة ، وقيل أن ملابسه تتميز بألوانها النموذجية وهي لباس الطبقة المتوسطة من الأتراك في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي

، وتتكون من معطف أحمر مع طوق مستدير وأكمام طويلة ، وسروال طويل وجوارب طويلة وحذاء منخفض الكعب ، وغالبا يرتدي قبعة كثيرا ما طرقت وكشفت عن رأسه الأصلع ، مما تسبب دائما في الضحك بين الجمهور [٤] .

- دمية خيال الظل التركي (القره جوز) ، لوحة رقم (٢) :-

المادة الخام :- رسم على الجلد .

المكان :- تنسب إلى تركيا .

الفترة الزمنية :- منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت بلندن

رقم السجل :- E.١٢٨٣-١٩٣٦ .

طريقة الاقتناء :- مهداة من مارشيزا لويز .

الوصف الفني :- لوحة مرسومة على الجلد تمثل (القره جوز) ، وهو الشخصية الرئيسية في عروض خيال الظل التركي ، ويظهر بها كركوز وهو يرتدي قبعة كبيرة الحجم يظهر من أسفلها ، صلع رأسه ، وجهه مرسوم بطريقة فكاهية من ذقن وشارب طوال ، وعيون واسعة ، وأنف كبيرة الحجم ، ويرتدي سترة تصل إلى أعلى ركبتيه ومفتوحة من الأمام ، وحذاء ذات رقبة طويلة ، ويظهر كراكوز في هذه اللوحة وهو واقف بطريقة بهلوانية ، حيث وضع الساقين بطريقة منعكسة ، وإحدى ذراعيه في مستوى صدره ، بينما يضع الأخرى بجانيه ، وهي أطول من الذراع الأخرى ، مما يضفي على اللوحة طابع الفكاهة .

- دمية خيال الظل التركي (كيسريلي) Kayserili ، وهو من الشخصيات لتي كان لها دور في عروض خيال الظل التركي ، لوحة رقم (٣) :-

المادة الخام :- رسم على الجلد .

المكان :- تنسب إلى تركيا .

الفترة الزمنية :- منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت بلندن .

رقم السجل :- E.١٢٨٩-١٩٣٦ .

طريقة الاقتناء :- مهداة من مارشيزا لويز .

الوصف الفني :- يظهر كسيرلي في هذه اللوحة وهو يرتدي غطاء رأس أحمر اللون (الطربوش)[٥] في نهايته من أعلى قنزعة ، أسفله منديل فوق رأسه ، ويرتدي معطف وإزار ، وحول وسطه حزام ، ويلبس حذاء أسود اللون ذات رقبة طويلة ، أما سحنته فهو ذات أنف كبيرة وعيون واسعة ، وله شارب بدون ذقن ، باسطا إحدى يديه إلى الأمام ، والأخرى ممسك بها شيء ما خلف ظهره .

- دمية خيال الظل (الأنثى زين) ، لوحة رقم (٤) :-

المادة الخام :- رسم على الجلد .

المكان :- تنسب الى تركيا .

الفترة التاريخية :- منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت بلندن .

رقم السجل :- E.١٢٨٥-١٩٣٦ .

طريقة الاقتناء :- مهداة من مارشيزا لويز .

الوصف الفني :- تمثل هذه الدمية الأنثى زين ، وهي من الشخصيات التي لعبت دورا في فن خيال الظل التركي ، ترتدي غطاء رأس باللون البني على شكل نصف دائري ويأخذ شكل مفصص ، وترتدي عباءة بأكمام فضفاضة ، وحذاء باللون الأصفر ، وهناك رداء يتطاير خلفها ، ويظهر من أسفل غطاء الرأس شعرها ذات اللون الأصفر ، والوجه الجميل ذات الخدود التي تبدو عليها الحمرة ، وتمسك بشيء ما تقربه إلى خده الأيمن .

وهي أحد النساء في مسرحيات الكراكوز ، ويعني اسمها حرفيا (ملابس النساء) ، وهي رقيقة جدا ، تظهر عادة بأشكال مختلفة سواء من ناحية العمر أو لون البشرة ، والأخلاق ، وبصفة عامة تظهر بملابس عبارة عن عباءة بأكمام فضفاضة ، أما أشكال الحلي التي تلبسه يختلف بحسب مكانتها في العرض ، وتظهر في بعض عروض الكراكوز على أنها زوجته ، أو تظهر كواحدة من النساء الأثريات ، الذين يقومون بالتلاعب بالأدوات الرياضية مثل المروحة أو المظلة ، وقيل أنها كانت تغري جميع أنواع الخاطبين وتستدرجهم لمنزلها ، وكثيرا ما تستدرجهم لخلع ملابسهم ، ثم ترسلهم إلى الشارع عرايا بدون ملابس ، ولسانها دائما ما يتميز بالشراسة [٦] .

- دمية خيال الظل التركي (الرجل اليهودي) ، لوحة رقم (٥) :-

المادة الخام :- رسم على الجلد .

المكان :- تنسب إلى تركيا .

الفترة الزمنية :- منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت بلندن .

رقم السجل : -E.١٢٨٦-١٩٣٦ .

الوصف الفني :- تمثل هذه اللوحة دمية خيال الظل (الرجل اليهودي) ، ويرتدي غطاء رأس عبارة عن طربوش باللون الأحمر ، ويرتدي معطف بأكمام طويلة ، وإزار أسفله سروال طويل ، وحول وسطه حزام يتدلى منه قطعة قماش باللون الأحمر ، وفي قدمه حذاء باللون البني ، أما سحنته تبدو بصورة فكاهية من أنف كبيرة وذقن غير مهذبة وشارب ، ممسكا بعصا بكلتا يديه رافعها إلى أعلى .

واليهودي هو مقرض مالي، وهو تاجر في السلع المستعملة، أو بائع متجول، صفاته الشخصية هي سلبية تقريبا : المساومة، المبتذلة، الخبيثة، بغيض، وجبان ، هو دائما على خلاف مع كاراغوز [٧] .

- دمية خيال الظل التركي(Celebi, or The Gentleman) جلبي أو الرجل المحترم ، لوحة رقم (٦) :-

المادة الخام :- رسم على الجلد .

المكان :- تنسب إلى تركيا .

الفترة الزمنية :- منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت بلندن .

رقم السجل :- ١٩٣٦-E.١٢٩٠ .

طريقة الاقتناء :- مهداة من مارشيزا لويز .

الوصف الفني :- تمثل هذه اللوحة دمية خيال الظل التركي (الرجل المحترم أو جلبي) ، ومثله الفنان وهو واقفا بأناقة ، واضعا إحدى يديه في جيبه ، والأخرى يشير بها تجاه صدره ، ويرتدي طربوشا باللون الأحمر ، وبدلة باللون البني مقسمة إلى مربعات بواسطة خطوط متقاطعة باللون الأسود ، ويلبس حذاء باللون الأسود .

هو مدهش الشباب ، ويلاحظ في ملابسه أنه يمثل تطور الأزياء في تركيا ، وهو تركي ويتحدث بلهجة (اسطنبول) ، ودائما ما يقدم قصائد في جمال النساء ، ودائما ما يظهر في أدوار متنوعة (ابن عائلة غنية ، شاب ، زوج غير مخلص) ، أو تنظيم مسابقة في الشعر بصفته محب للفن ، ويقدم جوائز للفائزين ، يعتبر جلبي فئة منفصلة مع وظيفة مختلفة في كراكوز ، دوره غير عادي ، ولكن أهميته داخله السياق الاجتماعي لكراكوز هو تحقيق توازن معين في الأنواع المتطرفة المقدمة ، إنه يخدع كاراغوز بمهارة [٨] .

- دمية خيال الظل التركي (فرنك Frenk, or the Frank) ، لوحة رقم (٧) :-

المادة الخام :- رسم على الجلد .

المكان :- تركيا .

الفترة الزمنية :- منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت .

رقم السجل :- ١٩٣٦-E.١٢٨٧ .

الوصف الفني :- تمثل هذه اللوحة دمية خيال الظل التركي (فرنك) ، ويظهر بها وهو واقفا ممسكا بعصا من تحت إبطه الأيسر ، ويشير باليد الأخرى أمامه ، ويرتدي قبعة كبيرة ، ويرتدي معطف طويل أسفله صديري باللون الأحمر ، وقميص باللون الأصفر وببيونة ،

وبنطلون[٩] باللون الأحمر مقسم إلى مربعات بواسطة خطوط متقاطعة باللون الأسود . وحذاء أسود اللون .

وهو شخصية تجمع بين الأوربي مع بلاد الشام ، ويمكن أن يظهر على أنه طبيب أو تاجر أو خياط أو حارس ، ويتحدث التركية بصعوبة ويتحدث أيضا الفرنسية ، ويسخر دائما من الكراكوز في عروض خيال الظل ، ولكن في الغالب هو شخصية متعاطفة [١٠].

- دمية خيال الظل التركي (أسيم Acem or Persian) ، لوحة رقم (٨) :-

المادة الخام :- رسم على الجلد .

المكان :- تنسب إلى تركيا .

الفترة الزمنية :- منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت بلندن .

رقم السجل :- ١٩٣٦-E.١٢٨٤ .

الوصف الفني :- دمية خيال الظل التركي (آسيم أو الفارسي) ، ويرتدي غطاء رأس باللون الأسود يشبه الطربوش مسحوب إلى أعلى من الخلف ، ويرتدي قفطان[١١] طويل باللون الأصفر وله إطار باللون الأسود ، أسفلها قميص باللون الأحمر يظهر من أسفله سروال ، يتم تثبيتها بواسطة حزام ، ويلبس حذاء أسود اللون ، وله عيون واسعة ، وأنف مستقيمة ، وشارب طويل ، ممسكا بعصا بيده اليمنى .

وهو من ترك أذربيجان ، هو تاجر سجاد أو ملابس نسائية في عروض الكراكوز ، وكثيرا ما يتعرض للخداع من جانب كراكوز لذلك فهو غاضبا جدا ، وعادة يرتدي قبعة عالية من جلد الخراف الأسود [١٢] .

- دمية خيال الظل التركي (توزوز ديلي بكير Tuzsuz Deli Bekir) ، لوحة رقم (٩):

المادة الخام :- رسم على قطعة من جلد الإبل وزخرفت باليد .

المكان :- تنسب إلى تركيا .

الفترة الزمنية :- منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

مكان الحفظ :- متحف فكتوريا والبرت بلندن .

رقم السجل :- ١٩٣٦-E.١٢٨١ .

الأبعاد :- الارتفاع : ٣٠,٥ سم ، العرض : ١٢,٧ سم .

طريقة الاقتناء :- مهداة من مارشيزا لويز .

الوصف الفني :- تمثل هذه الدمية شخصية (توزوز ديلي بير) من الشخصيات التي شاركت في عروض خيال الظل التركي (قره جوز) ، يرتدي غطاء رأس عبارة عن (طرطور)[١٣] ،

ويرتدي معطف وإزار وسروال قصير ، وحذاء باللون الأسود ، يميز وجهه الأنف الكبيرة والشارب الطويل ، يمسك في يديه اليمنى بزجاجة ، بينما اليد اليسرى ممسك بها بسيف .

يمثل السلطة ، وهو الوصي على الأخلاق العامة في عروض (الكراكوز) ، ويرغب دائما إلى تأسيس القانون والنظام ، ويحمل عموما سيفا طويلا في يد واحدة ، وزجاجة في الآخر، ويجري في حالة سكر باستمرار، على الرغم من أن له جانب شرس وصوت عال، الإ أنه شجاع الأخلاق، وقال انه غير مؤذي ، ولكن لا أحد يجرؤ على التعارض معه، باستثناء كاراجوز ، وكثيرا ما يأمر (زين) بإرجاع الملابس التي دبرت للاستيلاء عليها من الشباب ، وحجز لنفسه نصيب الأسد [١٤] .

ثانيا : الدراسة التحليلية :-

- تعريف فن خيال الظل (Shadow play) :-

يعد فن خيال الظل من أهم وسائل الترفيه ، ويسمى بشخوص الخيال ، أو ظل الخيال ، أو طيف الخيال ، أو مسرح الدمى ، أو خيال الستار ، أو ذي الخيال ، ولعل هذه المسميات تشير إلى تلك الوسائل التي كان يتوسل بها المخايل ونفي ممارسة ذلك الفن حيث تطلب مسرحا ، كما يرجع بعضها إلى ذلك التشابه بين هذا الفن وما كان يقدم على مسارح الدمى التي كانت شائعة في أوربا ، وكذلك بعض الدمى التي كان يقوم اللاعبون بإدراجها خلف الستارة البيضاء [١٥] .

وهو فن الدمى والعرائس المرتبط بفن النحت والتشكيل حيث يظهر الطيف الظلي للعرائس وتحركاتهم من وراء ستار ، وفي تعارض هذه العرائس بين الحقيقة والخيال صارت هذه الأنواع من التمثيليات موضعا للترفيه تسامح فيه فقهاء المسلمين[١٦] ، كما أن هذا الفن يجمع بين فن التشخيص بالإشارات وبين الموسيقى والتصوير والشعر ، وتظهر شخوصه المصنوعة من الأدم الملون على شاشة كتان مضاءة من الخلف [١٧].

ينطوي فن الخيال الظلي تحت منظومة فنون الفرجة والأداء المسرحي الشرقي القديم .

والخيال لغة : ما تشبه للمرء في اليقظة والحلم من صور، واصطلاحاً هو لون من الفن التمثيلي الشعبي، ينشأ من تحريك شخوص جلدية كاريكاتورية بين مصدر ضوئي وشاشة بيضاء ، تسقط عليها ظلال هذه الشخوص التي صممت بحيث تظهر على الشاشة نقوشها وألوانها، وهو فن مسرحي متكامل – لا سبيل إلى إنكاره –يقوم على إخراج قصة ، ذات حبكة وشخصيات، فيقدمها بالتمثيل ، من خلال الشخوص والحوار والفعل، بدلاً من سردها سرداً ، وما يختلف به خيال الظل عن المسرح هو اعتماده على الدمى بدلاً من البشر، أساساً في التمثيل [١٨].

– المفهوم الطبيعي لخيال الظل هو ظل الخيال ، لأن المقصود من المخايلة هو الصورة اللفظية التي يعكسها الخيال المادي أمام الضوء الخلفي ، وقد أشار بعض المتصوفين المسلمين إلى مسرح الظل وقارنوا بين العالم وبين المشهد من وراء الظل ، ليعبروا عن العلاقة التي تربط بين

البشر والذات الإلهية ولم يستطع المهتمون بهذا الفن أن يتعرفوا على مكان ميلاده بدقة ولكنهم مجمعون على أنه جاء من مكان ما من أسيا (الصين أو الهند) ، ثم انتقل إلى البلاد العربية [١٩].

يعتبر خيال الظل من أقدم مظاهر الفرجة الشعبية ، التي تعتمد على التقليد والتحاور بين عدد من الأشخاص متوسلة بالحركة والإيماءة للتعبير عن معنى ما بقصد إيصاله للمتلقي ، ويعتبر خيال الظل من أحد الفنون الشعبية العروسية الثلاثة (إلى جانب القره جوز ، وصندوق الدنيا) [٢٠].

ويعد خيال الظل لونا من ألوان الاستعراضات الفكاهية، ساد الأقطار العربية لمدة ثمانية قرون تقريباً، فبقيت له آثار حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرون الميلادي ، فكانت له سوق نافقة في الأعراس، فقَلَّما يقام عرس إلا يلعب الخيال في إحدى لياليه ، إلى أن اخترع الفرنج الصور المتحركة ، وكثرت أماكن عرضها، فأكب الناس عليها وهجروا أماكن الخيال فأبطلت[٢١] وقد عرف ابن حزم الأندلسي مصطلح خيال الظل بأنه عبارة عن تماثيل مركبة على مطحنة من الخشب ، تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدو طائفة [٢٢] .

خيال الظل فن قديم ارتبط بالشرق من حيث المكان ، وارتبط بالوعظ والتعليم من حيث الوظيفة ، بصرف النظر عن أدوات التخيل التي يقدم بها المخايل مشاهده المصورة ، سواء كانت الدمى من قصاصات الكرتون أو الجلد أو الخشب ، ذلك أن نظرية انعكاس الظل من خلال إسقاط الضوء الخلفي على جسم يبدو ظله على مكان ما ، ليس بعيدا عن تصور الإنسان ، بل هو جزء من رحلة الإنسان اليومية مع الشمس والظل ، وليس ببعيد عن هذا التصور ما قدمه أفلاطون في تشبيهه المستمد من (أوهام الكهوف) الذي أيد به نظريته في (المثل) ، فليس غريبا إذن أن يتحول خيال الظل إلى فن قائم بذاته ، وأن يتخصص فيه (المخايلون) في مختلف العصور ، تبعا للوظيفة المطلوبة منهم ، فقد بدأ تعليميا وانتهى مسليا ، وقد كان كل عصر يفرز لنفسه ولخيال الظل الوظيفة الجمالية الملائمة [٢٣] .

- نشأة فن خيال الظل :-

يكاد يجمع المؤرخون أن منشأ هذه اللعبة من الهند القديمة ، ويقول البعض أن أصل نشأتها من بلاد الصين ، وانتقلت منها إلى البلاد العربية عن طريق الهند والفرس ثم انتقلت إلى مصر عن طريق سوريا ومن مصر إلى بلاد المغرب العربي[٢٤] ، وهناك رأي أخر يذكر أن خيال الظل قد نشأ في الشرق الأقصى، ومنه انتقل إلى كثير من بلاد العالم، ولكن يبدو من الصعب تحديد البلد الذي نشأ فيه ، إذ تشير بعض الدراسات أنه نشأ في الصين، ولكن ثمة إشارة أخرى إلى أن لفظة (خيال الظل) قد وردت في نص هندي قديم وإشارة ثالثة تحيل أن خيال الظل (ربما) جاء إلينا من بلاد المغول ، ومنها انتقل إلى البلاد المجاورة ، ولا سيما إلى اليابان وجزر جاوة ،

ومن المرجح أن يكون خيال الظل قد انتقل إلى البلاد العربية من جاوة، نقله التجار المسلمون، في وقت مبكر، قد يرجع إلى القرن الرابع أو الخامس الهجري / القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي، ومما يؤكد ذلك ، الإشارات المبكرة إلى هذا الفن، ولاسيما في عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م)، فقد روي أن ابناً لأحد الطباخين في قصر المأمون قد أنذر الشاعر "دعبل الخزاعي "إن هو هجاه أن يخرجه في الخيال ، لكن الإشارة الأكثر وضوحاً، هي ما روي عن حضور صلاح الدين الأيوبي عرضاً لخيال الظل بمصر سنة ١١٧١ م بصحبة القاضي الفاضل، ولكن مما لاشك فيه أن خيال الظل كان منتشراً في كل من العراق ومصر في القرن السادس أو السابع الهجري / الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادي، على أقل تقدير، وهو القرن الذي ظهر فيه المخايل المعروف ابن (دانيال الموصلي)[٢٥] بوصفه رائداً لهذا الفن [٢٦].

والراجح أن خيال الظل انتقل من الصين ، والظاهر أن الأتراك أخذوه من أهل الصين عن طريق المغول ، ومن الممكن إثبات وجود صلة بين خيال الظل الصيني وبين العالم الإسلامي ، ولما كان الطريق من الصين والهند إلى العالم الإسلامي يمتد عبر بلاد فارس ، فإننا نجد بين أشعار الفرس كثيرا من الفقرات التي تشير إلى خيال الظل ، ولا يزال خيال الظل باقيا في فارس الحديثة باسم (كجل بهلوان) ، وقد عرفت مصر خيال الظل ، وارتقى هذا الفن في مجال الثقافة العربية ، وإن كان لم يبق من الشعر التمثيلي العربي في القرون الوسطى الإ تمثيليات الكحال ابن دانيال [٢٧].

والراجح أن العرب عرفوا خيال الظل عن طريق شرق أسيا وجنوبها الشرقي ، ومن الثابت أن مصر عرفته في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وظل شائعا بها وإن تأثرا بعض الشيء بفن القره جوز التركي الذي تأثر هو الأخر بالفن المصري [٢٨].

وقد عرف خيال الظل للمرة الأولى عند العرب في العصر العباسي ، وكان مجيئه إلى مصر في العصر الفاطمي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، حيث عرفت مصر فيه خيال الظل الذي يتوسل بالصورة والضوء معا ويحتاج تبعا لذلك إلى مكان محكم حتى يمكن أن يركز الضوء فيه على التمثيل ومع ذلك فقد كان يتسم بنوع من المرونة في الحركة بحيث يمكن أن يؤدى في فناء الدار أو داخل فسطاط معين ، لذلك أصبح فيما بعد من وسائل إحياء المواسم وحفلات الزواج والختان وما إليها [٢٩].

وقد ذكر أن صلاح الدين الأيوبي حضر عرضا لخيال الظل مع وزيره القاضي الفاضل عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١م ، وفيها أن السلطان صلاح الدين أخرج من قصور الفاطميين من يجيد خيال الظل ليريه للقاضي الفاضل، فقام عند الشروع فيه، فقال له الملك: لو كان حراما فما نحضره، وكان حديث عهد بخدمته قبل أن يأتي السلطة، فما أراد أن يكرر عليه، فقعد إلى آخره، فلما

انقضى ، قال له الملك: كيف رأيت ذلك؟ فقال: رأيت موعظة، رأيت دولا تمضي ودولا تأتي، ولما طوِي الإزار طَي السجِلِ للكتب إذا المحرك واحد [٣٠] .

وقد استمر خيال الظل طوال العصرين الأيوبي والمملوكي يمثل وسيلة من أهم وسائل التسلية في مصر حتى دخول السلطان العثماني مصر ، وعندئذ حرص على أن يصحب معه بعض المخايلين إلى استانبول عند عودته .

ومن النماذج الفنية لفن خيال الظل في مصر وهي ترجع إلى العصر المملوكي لوحات رقم (١١) .

ويذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م ، أن السلطان سليم الأول العثماني قد أحضر في بعض الليالي في مقياس النيل بجزيرة الروضة خيال الظل فلما جلس للفرجة ، قيل أن المخايل صنع صفة باب زويلة ، وصفة السلطان طومان باي لما شنق عليه وقطع به الحبل مرتين (فأنشرح ابن عثمان لذلك ، وأنعم على المخايل في تلك الليلة بثمانين دينارا ، وخلع عليه قفطانا مخملا مذهبا وقال له : إذا سافرنا إلى استانبول سوف تمض معنا حتى يتفرج ابني على ذلك) .

ولكن ابن اياس لم يقطع بتحقيق هذه الرواية وعلق عليها بأنها إشاعة راجت ، ويمكن القول بأن السلطان سليم قد نقل إلى استانبول الحذاق المهرة في جميع الحرف والصناعات ، قد نقل إلى عاصمة ملكه بعض من يحذقون فن خيال الظل كهذا المخايل الذي أشارت إليه رواية ابن اياس ، ونفهم من هذ الرواية أن فن خيال الظل في مصر حرفة ، وأصبح في استطاعته أن يعبر عن الأحداث التاريخية بحيث لم تكن العروض الظلية في هذا العصر مقصورة على عرض الهزليات اللاهية والمضحكات بل كانت لها أهداف اسمى من ذلك ، مما يقطع بأن فن المخايلة العربية سار زمنا طويلا حتى اكتمل واكتسب مقوماته [٣١] .

وكذلك تشير بعض الآراء إلى أن مسرح خيال الظل هو تقليد أندونيسي أصلي ، وعلى الأرجح أنه أشهر مسرح للظل في العالم [٣٢].

- الأساطير المتعلقة بفن خيال الظل :-

كان الإمبراطور الصيني ووتي (Wu-ti) قد حزن حزنا شديدا على زوجته المتوفية ونغ (Wang) ، فظل على حزنه فترة طويلة ولم أحد يستطع أن يبعد عنه تلك الهموم والأحزان ، وكذلك لم ينصرف إلى الطعام أو الشراب أو فنون الكوميديا ، وحتى حكايات الرواة كانت مملة بالنسبة له ، ولكن إله العطف كان معه سسياو ونغ (Sciao-wong) ، الذي أظهر له زوجته ونغ في في هيئة ظل ، وجلس الإمبراطور وزوجته (ووتي) ليلة بعد ليلة قبل ستارة ممدودة أمام الباب ، ورءاه ظهرت روح زوجته المفضلة ، كانوا يتحدثون عن الأيام والليالي الرائعة التي أمضوها سويا ، وكان حب الإمبراطور لزوجته قويا جدا ، فقد وعد نفسه بعدم لمس الستارة أو

النظر وراءها ، ثم بعد فترة قام بتمزيقها فقد رأى إله العطف سسياو ونغ (Sciao-wong) هو الذي توصل إلى تلك الحيلة ولعب بالظل وآثار الوهم من روح زوجته .

وتؤكد تلك الأسطورة على الصلة بين خيال الظل وعالم الموتى والظلال ، لذلك يفسر على أنها نفوس الوتى ، لذلك أصبح خيال الظل وسيلة لإحضار روح الموتى ، ولذلك تسمى ب (ستارة الموت) في الصين ، و (الضباب والغيوم) في جاوة (إحدى جزر إندونيسيا) ، و (الستار المغادر من ساعة الموت) في تركيا ، و (ستار الأحلام أو الحجاب السري) في شبه جزيرة العربية[٣٣] .

- صفة اللعبة :-

الرأي الغالب عند الدارسين الذين بحثوا تاريخ (تحريك الدمى) أن صناعة العرائس وتشكيلها ، واستعمالها لغاية اعتقادية ، نلقاها في الحضارات القديمة ، ذلك أن نحت الدمية ، أو صنعها ، قد رافق المراسيم العقائدية ، التي درجت مع الإنسان ، في عابر حياته ، فكان في مصر القديمة ، عرائس تظهر في احتفالات إيزيس وأوزيريس ، وقد حدثنا عنها هيرودوت ، وعرائس أخرى ، نرجح أنها كانت تلقي في النيل تقربا إليه ، حين كان الاعتقاد بأنه قوة مقدسة ، تفيض بالخير أو ترسل الدمار .

ولاريب في أن حضارات الشرق الأخرى ، كحضارة ما بين النهرين ، أو حضارة أحواض أنهار السند والكنج وأنهار الصين ، قد شهدت هي الأخرى ، ظهور العرائس في المناسبات والمراسم الاعتقادية ، وإذا كان علماء التراث الشعبي يحدثوننا عن انتقال (أدوات العقائد) إلى مجال اللهو واللعب ، وكيف أن هذا الانتقال يعبر عن مرحلة مترفة من الثقافة والحضارة ، ومن المرجح ، أن يكون استخدام العرائس في المراسم الدينية القديمة وفي الطقوس السحرية الغابرة ، قد سبق استخدامها في مجالات اللهو واللعب ، أو لعله ، كان أظهر في مجال المعتقدات ، منه في مجال البشرية .

على أن الثابت ، أن العرائس القديمة ، في الشرق الأدنى على الأقل بما في ذلك بلاد الإغريق ، لم تدرج إلى مسرح خيال الظل ، في بدء استعمالها ، فغاية ما تعطيه الشواهد التاريخية لنا ، أنها كانت تتحرك بواسطة خيوط – كتلك العرائس التي حدثنا عنها هيرودوت أنه رأها في مصر ، أو كانت تتحرك بواسطة الأصابع كتلك العرائس اليونانية أو الهندية ، وظل الأمر كذلك إلى أن خالط العرب ، حضارات الهند والصين ، وجنوب شرق أسيا [٣٤].

وصفة اللعب بخيال الظل أنهم يتخذون بيتا مربعا يقام بأعمدة من الخشب ، ويكيس بالخيش أو نحوه من الجهات الثلاث، ويسدل على الوجه الرابع سِتر أبيض، يشد من جهاته الأربع شدا محكما على الأخشاب، ويقوم بالتعبير فيه بدلا عن الإنسان عرائس مقطوعة من الخشب الرقيق أو الورق المضغوط، تتحرك ظلالها على ستار أبيض من القماش الخفيف المشدود، ويتحدث

بلسانها آدميون وهم اللاعبون الذين لا يراهم الجمهور، وإنما يسمع أصواتهم، ويكونون خمسة في العادة، فمنهم غلام يقلد النساء، وآخر للغناء ٠٠٠ إلخ، ويوضع خلف الستار الأبيض مصابيح مضيئة بأنوار ساطعة، فإذا أطفئت الغرفة أو الفناء أصبح ينعكس على الستار ظِلُّ كلِّ جسم ، وترمز هذه العرائس إلى أشخاص القصة ، وتأخذ تتحرك هذه العرائس بواسطة عصى (لوحة رقم ١٢) ، وهناك عرائس تتحرك بواسطة خيوط مثبتة فيها (لوحة رقم ١٣) ، يمسكها اللاعبون من الخلف تبعا لموضوع القصة [٣٥].

والعرائس هي شخوص مسطحة، تصنع من الورق المقوى، أو من الجلد، أو من صفائح رقيقة من المعدن، وتتخذ أشكالاً بشرية مختلفة، وبحجوم صغيرة، يتقارب طولها بين ٢٠ و ٦٠ سنتيمتراً، وتتألف من عدة قطع ، ذات مفاصل تتحر ك عليها، بوساطة عصى، تدخل في ثقوب مصنوعة من أشكال الشخوص، وقد تلون بعض هذه الأشكال بألوان زاهية، وقد يصحبها أشكال أخرى، لحيوانات تشترك في التمثيل ، فيجري عرض المسرحية وراء ستارة بيضاء، ويحرك الممثلون الدمى بالأيدي ، وفي الوقت نفسه تضاء الدمى بالنور في جانبها لتقع ظلالها على الستارة ، وخلال العرض يحرك الممثلون الدمى من جهة ، ومن جهة أخرى، يغنون ويتكلمون ويشرحون قصة المسرحية بمصاحبة الآلات الموسيقية، والنتيجة رائعة في أنظار المتفرجين أمام الستار .

وقد تكون البابة[٣٦] انتقادا لبعض العيوب الأخلاقية والاجتماعية، أو تصويرا فكاهيا لبعض أرباب الحرف والصناعات، أو عرضا لبعض الأحداث التاريخية المهمة كبعض التمثيليات البسيطة التي تتناول الحروب الصليبية في المشرق العربي مثل تمثيلية (حرب العجم)[٣٧] ،

<u>– فن خيال الظل في تركيا خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي:</u>

ويسمى خيال الظل عند الترك العثمانيين **(القره كوز)** وكان يلقى رواجا بين النساء والدهماء في رمضان ، وأجتذب إليه أيضا الطبقات العليا والمثقفة ، وظل خيال الظل معروفا إلى أن ظهرت الصور المتحركة ، فقضت عليه [٣٨].

القراقوز : كلمة تركية مركبة من مقطعين (قرة) تعني باللغة التركية أسود ، و (قوز) تعني عين أي أسود العين ، ويفسر البعض العين السوداء أي العين المتشائمة التي ينظر الأراجوز من خلالها للواقع بتشاؤم بعين ناقدة رافضة للمواصفات الاجتماعية ، والبعض يعتقد أن الأراجوز شخصية غجرية والبعض الأخر يعتقد أن الأراجوز هي تحريف لكلمة (قراقوش) وهو اسم بهاء الدين قراقوش أحد وزراء صلاح الدين الأيوبي[٣٩] ، حيث كان قراقوش رمزا لكل شخص مضحك ، وأكبر الظن أن اسم (كراكوز) التي تطلق في الشام وتركيا على خيال الظل ترجع في اشتقاقها إلى اسم (قراقوش) ، وقد دخلت مصر باسم (أراجوز) وإن في ذلك ما يدل على

نجاح ابن مماتي في التشنيع على قراقوش والتندر عليه ، وهو تشنيع نفذ منه إلى كل ما كان يريده المصريون في عصر صلاح الدين من ضحك على الدولة الأيوبية الجديدة وتفكيه [٤٠] .

وتشير بعض الآراء إلى أن الأراجوز كلمة ترجع إلى اللغة مصرية قديمة والتي تطورت وأصبحت في اللغة القبطية فيما بعد كلمة إروجوس Erougos التي تعني حرفيا : يصنع كلاما معينا ، ومنها اشتقت كلمة أراجوز العامية الشائعة ، وهناك رأي يذكر أن أصل الكلمة تركي القره قوز (Kargos – Hacivat) ، ولكن هذا الفن كان موجودا قبل الغزو العثماني لمصر (١٥١٧م) ، وقد أزدهر هذا الفن في مصر في أواخر العصر المملوكي (١٢٥٠ هـ / ١٥١٧م) [٤١] .

ويرجعها البعض الأخر إلى الأصل التركي : أن يكون أصل الكلمة هو قرة – قوز بمعنى العين السوداء بالتركية وهي عروسة تركية قديمة ، ويفسر البعض العين السوداء بأنها العين الفاحصة التي ينظر الأراجوز من خلالها للواقع بنظرة ناقدة رافضة للسلبيات الاجتماعية ، والبعض ينسب سواد العين إلى تلك القبائل التي وفدت إلى العالم العربي والإسلامي وكانت عيونهم سوداء ، ويقال أن شخصية الأراجوز غجرية ، وقد شاع خطأ أن الأتراك هم الذين أدخلوا هذا الفن إلى مصر ، ويبدو أن العكس هو الصحيح ، حيث يذكر أن السلطان سليم الأول أعجب بأحد اللاعبين عندما قدم أمامه قصة إعدام الملك طومان باي ، فأصطحب معه عدد من لاعبي الأراجوز إلى أسطنبول [٤٢] ، والدليل على ذلك أن معظم العلماء يعتبرون أن عروض خيال الظل التركية (الكراكوز) ، أنها سليل عروض خيال الظل في مصر في العصر المملوكي ، كما أنه تم العثور على هذا النوع من الفن في اليونان (عروض اراجيوزيس؛ كاراغيوز) ، والدول العربية (غاراغوس؛ كاراغوس؛ كاراكوس) في الجزائر وتونس والمغرب وسوريا ، وإيران ، كما أن البعض يشير إلى أن فن خيال الظل نشأ عند القبائل التركية البدوية في آسيا الوسطى [٤٣] .

القره قوز هو أحد أشكال مسرح الدمى الذي انتشر انتشارا كبيرا في العالم ، والأراجوز هو الاسم الأصلي لهذا الشكل ، فهو من أصول تركية وتعني العين السوداء ، وهو شخصية من أبطال مسرح العرائس ، تتخذ مكانها في خيال الظل ، ولم تحدد المراجع العلمية تاريخا محددا لظهور هذه الشخصية الكوميدية الشعبية ، ومثلما اشتهرت هذه الشخصية في المسرح العربي نعثر على أصلها في مسارح أخرى ، حيث نجدها في أوربا في شخصية الأحدب في كوميديا الفن الإيطالية ، وبوليشنيل Polichinelle في المسرح العرائسي الفرنسي ، وبونش Punch في المسرح الإنجليزي ، وباتروشكا Petrusa في روسيا ، وكاسبر في المسرح التشيكي [٤٤].

النظريات المحتملة حول أصل الكراكوز في تركيا :-

يعقد بعض الباحثين أن الكراكوز نشأ في الصين ، ويستند هذا الرأي على أن الظلال الأولى في الصين كان بواسطة النوافذ الورقية ، ثم جلبت من الصين إلى الغرب من قبل المنغوليين من آسيا الوسطى ، كما يعتقد البعض أن فن خيال الظل جاء من الهند وهو المكان الذي نشأ فيه

هذا الفن وجلب إلى الشرق الأدنى عن طريق قبائل الغجر ، وانتشر أيضا من الهند مع نشر البوذية في آسيا الوسطى ثم جلبت بعد ذلك إلى أسيا الصغرى ، وهناك أيضا بعض الآراء التي تشير إلى أن هذا الفن جاء من الغرب ، فقد نشأ في بلاد اليونان ثم جاء إلى تركيا عن طريق البيزنطيين ، ولكن هذا الرأي مشكوك فيه حيث لا يوجد أي دليل على أن هذا الفن قد عرف عند اليونانيين القدماء ، وهناك رأي أخر يذكر أن هذا الفن جاء من إيطاليا خلال الفترة العثمانية ، حيث كان هناك اتصال تجاري وفني مع إيطاليا ، علاوة على ذلك أنه كان هناك مجتمع إيطالي كبير في القسطنطينية حتى قبل الفتح العثماني ، هناك أدلة ملموسة أكثر ترجح أن ينسب هذا التأثير من المسرح الإيطالي على كاراغوز لليهود ، الذين جاءوا إلى تركيا عبر إيطاليا في القرن التاسع والعاشر الهجري / الخامس عشر والقرن السادس عشر اليلادي بعد طردهم من البرتغال واسبانيا ، حوالي عشرون ألف من اليهود، بما في ذلك الأطباء ، المشعوذون ، وصانعوا دمى الظل ، كما أنه في عهد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٦م) كان اليهود مرتبطين ارتباطا وثيقا مع الثقافة الشعبية لتركيا حتى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وكانوا يشتركون في عروض خيال الظل نظرا لمهاراتهم في هذا الفن وخاصة اليهود الأسبان ، لذلك لا يمكن التأكيد على أن هذا الفن جاء إلى تركيا من مكان بعينه ، فمن المرجح أن تكون روما القديمة ، مصر ، الهند ، الصين، أوربا، ولكن من المؤكد أن هذا الفن كان معروف في تركيا خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشرالميلادي [٤٥] .

- الأساطير المتعلقة بشخصية الكراكوز :-

ظهرت العديد من الأساطير حول فن خيال الظل في أسيا ومن أهمها : حيث قيل أن السحرة والكهنة استدعت أرواح الموتى لتخفيف الحزن عن أحبائهم [٤٦] .

وتذكر بعض الأساطير التركية أنه كان هناك شخصيتان وهما (كراكوز) وهيسفات وقد شاركوا في بناء مسجد في بورصة في عهد السلطان أورخان(٧٢٦ - ٧٦١هـ / ١٣٢٦ - ١٣٦٠م) ، فقد كان كراكوز بناء أما هسيفات حداد ، وكثيرا ما تحول حواراتهم العمال عن العمل الذين كانوا يضعون أدواتهم ويستمعون إليهم ، مما أغضب السلطان وأمر بإعدامهم ، وبعد فترة أأسف فعلته ذلك ، لأنه فقد أثنيين من الأذكياء ، لذلك أراد أن يكفر عن فعلته ، فقد أمر إحدى الصناع ويدعى (Şeyh Küşteri) وهو من أصل فارسي ، ويعد من المتخصصين بصناعة الدمى ، فأمره بعمل دمى على شكل كراكوز وهيسفات والتلاعب بهم وراء شاشة مضاءة إحياء لهم [٤٧] .

- توظيف فن الكراكوز :-

يحضر الجمهور عروض القرة قوز ويتخذ جلوسه في أماكن مخصصة وتتميز شخصية القرة قوز بطرطور الرأس وصوته المستعار الذي يصدره اللاعب بواسطة (زعاقة) معدنية يضعها في فمه عندما يتحدث عوضاً عن الشخصية وتحمل دمية القرة قوز عصا صغيرة تضرب بها

الشخصيات التي تحاورها أو تعابثها فيثير ضربها ضحك النظارة ، وعادة تكون الشخصيات الأخرى من النماذج غير المحببة في المجتمع كحماة الزوجة أو الشريك المخادع ، وللطرطور والعصا والصوت المستعار دلالات معينة في هذا الفن ، العصا دلالة مشاركة الجمهور بالعرض ، فان القرة قوز حينما يضرب الرؤوس تتعالى الضحكات وضجات الاستحسان ، وهو يريد أن يدلل بأن هناك مواقف أو مشاكل لا تحلها إلا العصا ، فكأنه ينقد الحالة المناقضة حين لا تحسم بالقوة ، ولم يلجأ القرة قوز إلى الصوت المميز عبثا ، كما لم يلجأ إليه لمجرد استخدام صوت مشوه يبعث على السخرية , وإنما لإيجاد صوت مميز فنياً كأنه الصدى الساخر لصوت البشر وينطوي على السخرية المبطنة ، ولأنه رفيع حاد فهو مثير للأعصاب , والخناقة فيه تدل على الحكمة ، وهو لا يقوم بدور المؤذي لمجرد إلحاق الأذى بالآخرين وإنما لغاية محددة هي التعبير عن العداء الكامن في أعماق ابن البلد للحكام المستبدين وللأوضاع المتردية ولذوي الجاه والثروة الطائلة في زمان الانحطاط والاحتلال الأجنبي . فظهر هذا الفن لتسلية جمهوره والترفيه عنه ، ونقد كل انحراف وشاذ في المجتمع " فالقرة قوز واجه الواقع آنذاك , فيأس من إصلاحه ولذلك تمرد عليه , وسخر منه ورفض الإذعان لمعطياته وهكذا جاء القرة قوز مثال التصور الشعبي للشخصية المتمردة , الثائرة على المواضعات الاجتماعية السائدة , الرافضة لكل قيم الطبقة الحاكمة ومثلها في الأخلاق والسياسة والاجتماع والفن على حد سواء [٤٨] .

وسرعان ما انتشر مسرح الظل التركي في الإمبراطورية العثمانية مع زيادة المقاهي في تلك الفترة والتي استمرت منذ القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي حتى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وخصوصا خلال شهر رمضان حيث كان الناس يذهبون إلى مسرح الظل التركي نهارا وهم صائمون وأيضا بعد غروب الشمس للتمتع بعروض الأراجوز [٤٩] .

وكانت عروض الأراجوز تهدف إلى نقد المجتمع العثماني في تلك الفترة والقيود التي فرضها على العثمانيين على حياة الناس الطبيعية ، وكذلك محاولة أن يرى السلطان فساد مسئوليه ، لذلك كانت عروض الأراجوز في المقاهي العثمانية في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي كانت مليئة بالسخرية السياسية ، والأراجوز عادة استخدم كسلاح لانتقاد الفساد السياسي ، ظل الأراجوز في تركيا موجها لانتقاد الحياة السياسية حتى قام السلطان عبدالعزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦ م) وكذلك السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩ م) بحظر النقد السياسي الموجه الدولة العثمانية [٥٠] .

وقد استغل الصوفية هذه اللعبة في تصويرهم للحياة الدنيا فيقول أحدهم (إنها خيال كخيال الظل) ظل زائل ، وإن الناس في الدنيا كاللاعبين وراء الستار ، والوجود الحقيقي لله وحده ، كما استغلوا أيضا لهذه التشبيهات دودة القز ، التي لاتزال تنشج على نفسها حتى تموت [٥١] .

ومع أن القره كوز في طريقه للانقراض بفضل وسائل الاتصال الأخرى كالسينما والتليفزيون ومسرح العرائس ، فإن الاسم (قره كوز) ظل محفورا في ذاكرة الناس ، وهم يضربونه مثلا لمن يتحرك كثيرا بدون فائدة ، ويقولون أنه يشبه القره كوز فإنه يجمع بين الجهد المفرط الضائع ، والصورة المثيرة للسخرية [٥٢] .

الخاتمة :-

توصل البحث إلي عدة نتائج بعد دراسة موضوع البحث دراسة حضارية وأثرية فنية وهي كالآتي:-

أولا :- يعد فن خيال الظل من أهم وسائل الترفيه ، ويسمى بشخوص الخيال ، أو ظل الخيال ، أو طيف الخيال ، أو مسرح الدمى ، أو خيال الستار ، أو ذي الخيال ، وهو أحد الوان الاستعراضات الفكاهية ، ساد الأقطار العربية لمدة ثمانية قرون تقريباً، فبقيت له آثار حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرون الميلادي .

ثانيا :- يكاد يجمع المؤرخون أن منشأ هذه اللعبة من الهند القديمة ، ويقول البعض أن أصل نشأتها من بلاد الصين ، وانتقلت منها إلى البلاد العربية عن طريق الهند والفرس ثم انتقلت إلى مصر عن طريق سوريا ومن مصر إلى بلاد المغرب العربي ، وهناك رأي أخر يذكر أن خيال الظل قد نشأ في الشرق الأقصى، ومنه انتقل إلى كثير من بلاد العالم ، ومن المرجح أن يكون خيال الظل قد انتقل إلى البلاد العربية من جاوة، نقله التجار المسلمون، في وقت مبكر، قد يرجع إلى القرن الرابع أو الخامس الهجري /القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي، ومما يؤكد ذلك ، الإشارات المبكرة إلى هذا الفن، ولاسيما في عهد المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م).

ثالثا :- وقد عرف خيال الظل للمرة الأولى عند العرب في العصر العباسي ، وكان مجيئه إلى مصر في العصر الفاطمي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وقد استمر خيال الظل طوال العصرين الأيوبي والمملوكي يمثل وسيلة من أهم وسائل التسلية في مصر حتى دخول السلطان العثماني مصر ، وعندئذ حرص على أن يصحب معه بعض المخايلين إلى استانبول عند عودته .

رابعا :- يسمى خيال الظل عند الترك العثمانيين (القره كوز) وكان يلقى رواجا بين النساء والدهماء في رمضان ، وأجتذب إليه أيضا الطبقات العليا والمثقفة ، وظل خيال الظل معروفا إلى أن ظهرت الصور المتحركة ، فقضت عليه .

خامسا :- عرفت الدراسة معنى كلمة القراقوز :وهي كلمة تركية مركبة من مقطعين (قرة) تعني باللغة التركية أسود ، و (قوز) تعني عين أي أسود العين ، ويفسر البعض العين السوداء أي العين المتشائمة التي ينظر الأراجوز من خلالها للواقع بتشاؤم بعين ناقدة رافضة للمواصفات

الاجتماعية ، والبعض يعتقد أن الأراجوز شخصية غجرية والبعض الأخر يعتقد أن الأراجوز هي تحريف لكلمة (قراقوش) وهو اسم بهاء الدين قراقوش أحد وزراء صلاح الدين الأيوبي .

سادسا :- يعتقد بعض الباحثين أن الكراكوز نشأ في الصين ، ويستند هذا الرأي على أن الظلال الأولى في الصين كان بواسطة النوافذ الورقية ، ثم جلبت من الصين إلى الغرب من قبل المنغوليين من آسيا الوسطى ، كما يعتقد البعض أن فن خيال الظل جاء من الهند وهو المكان الذي نشأ فيه هذا الفن وجلب إلى الشرق الأدنى عن طريق قبائل الغجر ، وانتشر أيضا من الهند مع نشر البوذية في آسيا الوسطى ثم جلبت بعد ذلك إلى أسيا الصغرى ، وهناك أيضا بعض الآراء التي تشير إلى أن هذا الفن جاء من الغرب ، فقد نشأ في بلاد اليونان ثم جاء إلى تركيا عن طريق البيزنطيين ، ولكن هذا الرأي مشكوك فيه حيث لا يوجد أي دليل على أن هذا الفن قد عرف عند اليونانيين القدماء ، وهناك رأي أخر يذكر أن هذا الفن جاء من إيطاليا خلال الفترة العثمانية ، حيث كان هناك اتصال تجاري وفني مع إيطاليا ، علاوة على ذلك أنه كان هناك مجتمع إيطالي كبير في القسطنطينية حتى قبل الفتح العثماني ، هناك أدلة ملموسة أكثر ترجح أن ينسب التأثير من المسرح الإيطالي على كاراغوز لليهود ، الذين جاءوا إلى تركيا عبر إيطاليا في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر بعد طردهم من البرتغال وإسبانيا ، حوالي عشرون ألف من اليهود .

سابعا :- كانت عروض فن خيال الظل في تركيا خلال القرن ١٣هـ / ١٦ م تستخدم لتسلية الجمهور والترفيه عنه ، ونقد كل انحراف وشاذ في المجتمع " فالقرة قوز واجه الواقع آنذاك , فيأس من إصلاحه ولذلك تمرد عليه , وسخر منه ورفض الإذعان لمعطياته وهكذا جاء القرة قوز مثال التصور الشعبي للشخصية المتمردة , الثائرة على المواضعات الاجتماعية السائدة , وظل الأراجوز في تركيا موجها لانتقاد الحياة السياسية حتى قام السلطان عبدالعزيز (١٨٦١ – ١٨٧٦ م) وكذلك السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩ م) بحظر النقد السياسي الموجه الدولة العثمانية .

الصور واللوحات :

لوحة رقم (١) :- دمية خيال الظل (القره جوز) ، تنسب إلى تركيا ق ١٣هـ / ١٩ م ، محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (S.٩٨٥-٢٠١١) .

لوحة رقم (٢) :- دمية خيال الظل (القره جوز) ، تنسب إلى تركيا ق ١٣هـ / ١٩ ، محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (E.١٢٨٣-١٩٣٦)

لوحة رقم (٣) :- دمية خيال الظل التركي (كيسريلي)Kayserili ، محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (E.١٢٨٩-١٩٣٦) .

لوحة رقم (٤) :- دمية خيال الظل (الأنثى زين) ، محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (E.١٢٨٥-١٩٣٦) .

لوحة رقم (٥) :- دمية خيال الظل التركي (الرجل اليهودي) ، محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (E.١٢٨٦-١٩٣٦) .

لوحة رقم (٦) :- دمية خيال الظل التركي (Celebi, or The Gentleman) جلبي أو الرجل المحترم ، مفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (E.١٢٩٠-١٩٣٦) .

لوحة رقم (٧) :- دمية خيال الظل التركي (فرنك Frenk, or the Frank) ، محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (E.١٢٨٧-١٩٣٦) .

لوحة رقم (٨) :- دمية خيال الظل التركي (أسيم Acem or Persian) ، محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (E.١٢٨٤-١٩٣٦) .

لوحة رقم (٩) :- دمية خيال الظل التركي (توزوز ديلي بكير Tuzsuz Deli Bekir) ، محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، سجل رقم (E.١٢٨١-١٩٣٦).

لوحة رقم (١٠) :- دمية خيال الظل (هسيفات) ، عن /

ÖNDER (Hilmi) , KARAGÖZ (THE TURKISH SHADOW PLAY) , Anadolu , p ٨ .

لوحة رقم (١١) :- نماذج فنية لفن خيال الظل في مصر تنسب إلى العصر المملوكي محفوظة ضمن مجموعة فرانكفورت- مين، ألمانيا. عن /

- CHEN , Shadow Theaters of the , p ٤٩ .

لوحة رقم (١٢) :- تحريك الفنان للدمى المستخدمة في عروض خيال الظل بواسطة العصى عن / ÖNDER (Hilmi) , KARAGÖZ (THE TURKISH SHADOW PLAY) , Anadolu , p ٥ .

لوحة رقم (١٣) :- تحريك الفنان الدمى المستخدمة في عروض خيال الظل بواسطة الخيط عن / ÖNDER (Hilmi) , KARAGÖZ (THE TURKISH SHADOW PLAY) , Anadolu , p ١٢ .

حواشي البحث:

[١] عكاشة (ثروت) ، موسوعة التصوير الإسلامي ، (ط١) ، بيروت ، مكتبة لبنان ، (٢٠٠١ م) ص ١٣.

[٢] **الدمية** :- الدمية في اللغة : الصورة المنقشة من العاج ، وكل ما بولغ في صنعته وتحسينه فهو الدمى جمع دمية وفي صفته (صلى الله عليه وسلم) كأن عنقه عنق دمية ، والدمية هي الصورة المصورة لأنها يتأنق في صنعتها ويبالغ في تحسينها ، عن / إبراهيم (رجب عبدالجواد) ، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث ، (ط١) ، مراجعة : التارزي (عبدالهادي) ، تقديم : حجازي (محمود) ، دار الأفاق العربية ، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م) ، ص ١٧٩ .

[٣] **(القبعة)** :- القبعة بضم فسكون ، خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الصبيان ، عن / إبراهيم ، المعجم العربي لأسماء الملابس في ، ص ٣٧٧ .

[٤] Ebert (Chu Fa Ching) , The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens in Shadow play , Thesis Submitted for the Degree of "Doctor of Philosophy" , The Yolanda and David Katz Faculty of the Arts , Tel Aviv University , (٢٠٠٤) , p١٦٦ .

[٥] **الطربوش** :- نسيج من صوف يلبس في الرأس مركب من سر : أي رأس ، وبوش : أي غطاء ، والطربوش من ملابس الرأس التي شاع استعمالها مع بداية العصر الحديث في بلاد الشام ومصر والمغرب .

عن / أدي شير (السيد) ، الألفاظ الفارسية المعربة ، (ط٢) ، القاهرة ، دار العرب للبستاني، (١٩٨٧ – ١٩٨٨ م) ، ص ١١١ / إبراهيم ، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٢٩٩.

[٦] Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens, p١٧٠.

[٧] Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens, P ١٨٠.

[٨] Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens, P P ١٦٩ , ١٧ ٠.

[٩] **بنطلون** : كلمة فرنسية عن أصل إيطالي : بنطلوني ، وهو اسم شخصية في الكوميديا الإيطالية من الراعي الفينيسي سان بانتالوني أو بانتال ، وكذلك الملابس التي ترتديها هذه الشخصية ، ومعنى الكلمة : شخص أحمق في الكوميديا الإيطالية عادة نحيف عجوز أحمق يرتدي سروالا ضيقا يصل إلى قدميه ، وأطلقت الكلمة مؤخرا للتعبير عن أي سروال ، عن / إبراهيم ، المعجم العربي لأسماء الملابس ، ص ٨٠.

[١٠] Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens, pp١٧٧ , ١٧٨.

[١١] **القفطان** :- كلمة تركية وتعني الرداء المفتوح من الأمام بكمين كبيرين جدا ويلبس عادة فوق الصديري ، عن / الفرماوي (عصام عادل مرسي) ، بيوت القهوة وأدواتها في مصر من القرن ١٠ هـ / ١٦ م وحتى نهاية القرن ١٣ هـ / ١٩ م ، ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ، ص ٣٩٣.

[١٢] Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens, p١٧٦ .

[١٣] **(الطرطور)** :- هو قلنسوة للأعراب طويلة الرأس ، والطرطور أيضا : شعار رأس طويل مدبب ، وقد كان أهل الشام من لبنان وسوريا وفلسطين يقولون فيه : طنطور أو طنطون ، وهو عندهم من حلي النساء على الرأس / إبراهيم ، المعجم العربي لأسماء الملابس ، ص ٢١٢.

[١٤] Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens, p١٧١ .

[١٥] نصار (لطفي أحمد) ، وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٩٩ م) ، ص ٣٠٣ .

[١٦] عكاشة (ثروت) ، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية ، مكتبة لبنان ،(١٩٩٠ م) ، ص ٤٢٧.

[١٧] يونس (عبدالحميد) ، معجم الفلكور ،القاهرة ، كتب عربية ، (١٩٨٢ م) ، ص ٢٤١ .

[١٨] يونس (أحمد قتيبه) ، البناء الدرامي في مسرح خيال الظل (ابن دانيال نموذجا) ، دراسات موصلية ، العدد الحادي عشر ، (٢٠٠٦م) ، ص ص ٦٥ ، ٦٦ .

[١٩] عبدالفتاح (انتصار) ، فنون الفرجة وعربة غبن الشعرية ، مجلة الفنون الشعبية ، العدد (٢٧ ، ٢٨) ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٨٩م) ، ص٦٠.

[٢٠] الجندي (أمال) ، فنون الفرجة الشعبية وثقافة الطفل ، (ط١) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، (٢٠١٣ م) ، ص ص ٦٨ ، ٦٩.

[٢١] الدالي (محمد بن موسى بن مصطفى) ، أحكام التمثيل في الفقه الإسلامي ، ماجستير ، كلية الشريعة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، (١٤٢٦ – ١٤٢٧ هـ)، ص ٤٨ .

[٢٢] الأندلسي (ابن حزم) ، الأخلاق والسير في مداوة النفوس ، تحقيق : مكي (الطاهر احمد) ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٩٢ م ، ص ١٢١ .

[٢٣] الجيار (مدحت) ، خيال الظل : مسرح العصور الوسطى الإسلامية ، فصول – مصر ، المجلد ٢ ، العدد ٣ ، (١٩٨٢م) ، ص ٢١ .

[٢٤] نصار ، وسائل الترفيه ، ص ٣٣٤ .

[٢٥] ولد ابن دانيال بالموصل سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٣٨م ، وقضى شبابه بها ودرس القرآن الكريم في كتاتيبها ، وتلقى العلم والأدب في مدارسها ، وكانت الموصل آنذاك من أمهات العالم الإسلامي علما وثروة ، ولكنه لم يكد يلمس آثار تلك النهضة الثقافية للموصل وينهل من مواردها الفياضة حتى زحفت موجة التتار المدمرة التي قضت على معالمها العمرانية والدور التعليمية وطوحت بعلمائها وأدبائها وكان ذلك ٦٦٠هـ / ١٢٦٢ م ، وابن دانيال لم يكن يبلغ الرابعة عشر من عمره ، لذلك قصد ابن دانيال مصر في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م ، مع غيره من الأدباء والمفكرين الذين لقوا العنت في بلادهم وضيقا في معايشهم ، نبغ ابن دانيال في هذا الدرب من الأدب الشعبي التمثيلي ، وكان من أعظم المبرزين في فن خيال الظل ، ياتي بأشياء مخترعة ، وصنف طيف الخيال الشاهد له بالمهارة في الفن ، وقد عمل على الارتقاء بمسرح خيال الظل خلال العصر المملوكي ، ورغم أن كثيرا مما كتبه هذا الأديب قد تناولته أيدي البلى، فقد وصل الينا من آثاره ثلاث روايات (بابات) منها نسخة في دار الكتب المصرية بعنوان (طيف الاخيال) . عن / نصار ، وسائل الترفيه ، ص ٣٣٧ .

[٢٦] يونس ، البناءالدرامي في مسرح خيال الظل ، ص ٦٧ .

[٢٧] يونس ، معجم الفولكور ، ص ص ٢٤١ ، ٢٤٢.

[٢٨] عكاشة ، المعجم الموسوعي ، ص ٤٢٧ .

[٢٩] نصار ، وسائل الترفيه ، ص ٣٣٤ .

[٣٠] الدالي ، أحكام التمثيل في الفقه الإسلامي ، ص ٤٩ .

[٣١] نصار ، وسائل الترفيه ، ص ٣٣٥ .

٣١ CHEN (FAN PEN) , Shadow Theaters of the World , Asian Folklore Studies, Volume ٦٢ , (٢٠٠٣) , p ٣٣

٣٣Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens in Shadow play, p ٥٩ , ٦٠ .

[٣٤] حمادة (إبراهيم) وصالح (رشدي) ، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال ، مجلة الكتاب العربي – مصر ، العدد ٤ ، (١٩٦٤م) ، ص ٢٠ ، ٢١ .

[٣٥] الدال ، أحكام التمثيل ، ص ص ٤٨ ، ٤٩ .

[٣٦] **كلمة (بابة)** :- تعني بعض المشاهد التمثيلية كل مشهد منها يكون نهاية صغيرة مستقلة ومنفصلة ، ولما كانت تسمى وحدات الكتاب فصولا وأبواب أطلق على كل من هذه الروايات المكونة للعرض كلمة (باب) والملاحظ أن العامة تميل في بعض الأحيان إلى تأنيث بعض الكلمات المذكرة والحاق تاء التأنيث بأخرها ، لذا ألحق العامة هذه التاء بالكلمة فأصبح الباب التمثيلي يسمة (بابة تمثيلية) وبمرور الوقت والاستعمال المكرر أكتسبت الكلمة معناها وصارت البابة تعني تمثيلية ظلية ، عن / عبدالفتاح ، فن المخايلة ، ص ٦١.

[٣٧] يونس ، البناء الدرامي في مسرح خيال الظل ، ص ص ٦٥ ، ٦٦ .

[٣٨] يونس ، معجم الفولكور ، ص ٢٤٢ .

[٣٩] عبدالفتاح ، فنون الفرجة ، ص ٥٨ .

[٤٠] ضيف (شوقي) ، الشعر والفكاهة في مصر ، القاهرة ، دار المعارف ، (١٩٩٩ م) ، ص ٩٩.

[٤١] الجندي ، فنون الفرجة ، ص ٧٤ .

[٤٢] الجندي ، فنون الفرجة ، ص٧٥.

٤٢ CHEN , Shadow Theaters of the World, p ٣٩.

[٤٤] عبدالرحمن (علوش) ، المسرح التعليمي في دراما الطفل (مسرحية هاري وفاري والألوان لعبدالقادر بلكروي أنموذجا) ، ماجستير ، كلية الآداب اللغات والفنون ، جامعة وهران ، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ،(٢٠١٤م) ، ص ٣٣.

٤٤ Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens in Shadow play , p p١٥٣ , ١٥٤ .

٤٥ TURKISH SHADOW PUPPET THEATER: A WINDOW ON TURKEY , University of Washington , (١٩٨٩) , P ٣.

٤٦ Takkaç (Mehmet) and Dinç (Kerim) , Educational and Critical Dimensions in Turkish Shadow Theatre , Applied Theatre Researcher No ٦ ٢٠٠٥ Article No. ١,(٢٠٠٨) , p ٤ . / Ebert, The Realm of the Other : Jesters, Gods, and Aliens in Shadow play , p ١٥٠ .

[٤٨] البياتي (شوكت عبدالكريم) ، السمات الحكواتية في الظواهر الدرامية وأثرها في المسرحية العراقية ، مركز دراسات الكوفة ، جامعة الكوفة ، العدد السادس ، (٢٠٠٧ م) ، ص ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

[٤٩] smith (james) , Karagoz and Hacivat: Projections of Subversion and Conformance , Asian Theatre Journal, Volume ٢١, Number ٢ , (٢٠٠٤) , p p ١٨٨ , ١٨٩ .

٥٠ Öztürk (serdar) , Karagöz Co-Opted: Turkish Shadow Theatre of the Early Republic (١٩٢٣ – ١٩٤٥) , Asian Theatre Journal, vol. ٢٣, no. ٢ , University of Hawai'i Press , (٢٠٠٦) , p p ٢٩٤, ٢٩٨ .

[٥١] أمين (أحمد) ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، كلمات عربية ، (١٩٥٣ م) ، ص ٣٠٧.

[٥٢] يونس ، معجم الفولكور ، ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .